أهمية المصادر المحلية وما وراء البحار في كتابة التاريخ الاقتصادي الجزائري

ط. صوافي الزهرة /أ د. عبد المجيد بن نعمية
جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

ملخص الموضوع

تعتبر الأرصدة الأرشيفية الاقتصادية الموجودة بمصالح الأرشيف المحلية بالجزائر أو ماوراء البحار، من أهم الأرصدة التي تخدم كتابة التاريخ الاقتصادي الجزائري في الفترة الاستعمارية، وهي مجزأة إلى فترات تاريخية ومرتبة ترتيبا كرونولوجيا: تتضمن العديد من السلاسل التي تلقب بالكبرى والصغرى . ولا يكاد يختلف ترتيبها بوهران أو فرنسا، لأنها في الأصل مرتبة ومنظمة من طرف الاستعماريين الموجود ين بالجزائر قبل الاستقلال.

إن الجانب الاقتصادي من تاريخ الجزائر يعتمد أساسا على الأرشيف بالدرجة الأولى، لما يحويه من معلومات تاريخية، وقرارات رسمية ومنشورات وإحصائيات وغيرها. وكان من الضروري الاعتماد على الأرشيف المحلي بولاية وهران أولا:**أرشيف ولاية وهران**:

ما يمكن قوله بأن ولاية وهران تحتوي على أرشيف ضخم ومتنوع، من بينها السلاسل الكبرى مثل *Série I* التي تحوي ملفات القضايا الاقتصادية الجزائرية وأيضا السلسلة الصغرى ف-

تخص علاقات العمال الجزائريين بالإدارة الفرنسية،. وغيرها ضف إلى ذلك: النشرات الإحصائية، وتقارير الغرف الاقتصادية مثل الغرفة الزراعية والتجارية، والحرفية، وهي نشرات وحوليات حول الوضع الزراعي والتجاري، وتقارير مركز الاستخبارات CP(et)AP والصحافة الفرنسية بمختلف اتجاهاتها الموجودة بعلب ثانيا:**أرشيف ما وراء البحار أكس بروفانس بفرنسا.**

وبخصوص البحث بهذه المصلحة فهو متعة كبيرة بسبب التنظيم، وسهولة الوصول إلى العلب عبر الكاتولاقات أو محرك البحث الآلي، فيوفر الوقت والجهد. نجد أنه خصص للأرشيف الجزائري قسم خاص معنون بـــ: *Ministre D'état chargée des Affaires Algériennes 1873-1964*

Summary:

Economic realities are part of the studies relied upon in the writing of history as it is one of the first causes of the French occupation of Algeria. Archival balances represent one of the most important assets that serve the writing economic history during the colonial period, it contains a variety of historical information, and is divided into parts and arranged chronologically which includes chains called **major** and **minor**. To write this history it was necessary to rely on two areas:

1- 1. **Oran Province Archive:** which includes the Major chains such as: **Série I** which contains Algerian economic issues files, and Minor chains -F- related to Algerian relationships with French administration, releases statistical and economic reports rooms ... etc.
2- **Overseas X-Provence Archives, France.**

What can be say is that it wasn't difficult to reach thanks to organized information, as we find a whole special section devoted to the Algerian archive entitled: **Minister of State in charge of Algerian Affairs 1873-1964.**

يرى ابن خلدون: "بأن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وتشدّ إليه الركائب والرّحال...إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق...وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها"[1]. ويعني هذا أن التاريخ يرتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان وما ينتجه من أعمال. وتثمينا لهذا يتجه ابن خلدون إلى اعتبار التعليل والنظر والتحقيق من أساسيات علم التاريخ.

فكتابة التاريخ ليست بالأمر الهيّن، ولا تستعمل الفرضية والتجربة كما تستخدمه العلوم الطبيعية والفيزيائية للوصول إلى النتيجة العلمية، بل تعتمد على المادة الخام الأولية وهي المصادر التاريخية، التي تحتاج إلى قراءة متمعنّة وتمحيص وتفحص الأفكار ومقارنتها بغيرها، كدراسة الأحزاب اليمينية

واليسارية في التاريخ الجزائري المرتبط بالفرنسي، وعليه فإذا قارنا التاريخ بالاقتصاد، فنجد أن علم التاريخ يدرس الظواهر التاريخية، وجزء منها هو ظواهر أو وقائع اقتصادية. ولعل من بين أهم أسباب احتلال فرنسا الجزائر الأسباب الاقتصادية بالدرجة الأولى.

تميز الاقتصاد الجزائري في فترة 1962/1830 بأنه اقتصاد كولنيالي محظ، لأنه خدم المعمر بالدرجة الأولى على حساب الجزائري. فقد كان اقتصاد مكملاّ لاقتصاد فرنسا، وكان أساس هذا الاقتصاد الزراعة والتجارة، التي تكمل الاقتصاد الفرنسي[2]. فمثلا حين أصيبت أشجار العنب بمرض الفلوكسيرا[3] في أواخر سنة 1880، وجه المعمرون كل أنظارهم إلى الجزائر لتعويض ما خسروه بفرنسا، خاصة وهم يدركون أن سواحل القطاع الوهراني صالحة لزراعة الكروم، ولأجل التركيز عليها فقد أولت الحكومة اهتماما بالغا بتوفير كل الشروط بتوفير اليد العاملة، وأيضا مخابر بحث لاختيار أجود أنواع الأشجار لغراستها، وخصصت مساحة تقدر ب 10.2039 هكتار بوهران لوحدها لهذه الزراعة[4]. وكذلك تدريس التقنيات العلمية بالمدارس الفلاحية، لأنها جلبت الثروة للمعمرين وللحكومة الفرنسية، بحيث بلغت قيمة صادرات الخمور المصنعة بالقطاع 9.920.560 هكتولتر نحو فرنسا والعديد من الدول الأوربية[5]. وبذلك احتلّ القطاع الوهراني المراتب الأولى في الإنتاج والتصدير.

ولم تكتف السلطات الفرنسية بالسيطرة على الأراضي الفلاحية فحسب، بل تعدت ذلك إلى استتراف حديد بني صاف منذ اكتشاف المنجم والعمل به سنة 1873. ليكون الممول الرئيسي لصناعة فرنسا بالمتربول[6].

وتسهيلا لكل عمليات الغصب والنهب، قامت الإدارة الفرنسية بإصدار عدّة قوانين لمصادرة الأراضي، مثل قانون وارني (*warnier*)سنة 1873، وقانون 1887 و1880 وغيرها من القوانين. ولجأت بعدها فرنسا إلى سياسة تشريع وتطويع القوانين لاستخدامها كأسلحة للنهب والسلب[7]. وبذلك أضفت فرنسا الشرعية على ممارستها وتجاوزاتها، فلم تترك أرضا ولا غابة ولا بحرا إلا وقامت باستغلاله ونهبه. والمعروف أن الإدارة الفرنسية تجمع كل التشريعات والتقريرات في سجلاّت ووثائق حكومية. أصبحت فيما بعد أرشيفا ينظم جانبا من الاقتصاد الاستعماري الذي يحوي معلومات تاريخية، وقرارات رسمية وإحصائيات.

يضاف إلى هذه الوثائق مختلف التقارير الأرشيفية والرسائل المختلفة التي شكّلت بمجموعها مادة مصدرية مهمة في مجال الدراسات التاريخية، تدفعنا إلى البحث عن أهميتها في الأبحاث العلمية التاريخية، وذلك بالاعتماد على مفهوم الأرشيف، والبحث عن دوره في كتابة التاريخ ؟

مفهوم الأرشيف: اختلفت آراء الباحثين حول مفهوم الأرشيف نعرض بعضها على النحو التالي:

يعرفه شارل سامران: "بأنه كل الوثائق والأوراق المكتوبة الناتجة عن نشاط جماعي أو فردي، يشترط أن تكون قد نظمت لتسهيل الرجوع إليها[8].

ويعرفه أبو الفتوح حامد عودة بأنه مجموعة الوثائق المتعلقة بأعمال أي جهاز إداري (جهة حكومية، أو مؤسسة أو غيرها) أو فرد وينتهي العمل منها، وهي تحفظ بطرق خاصة[9].

وتعرفه الدكتورة سلوى علي ميلاد: تعرفه" بأنه عملية حفظ وتخزين الوثائق التي أصبحت غير ذات فائدة جارية. أي حفظ الوثائق التي سوف تستعمل في البحث التاريخي."[10].

أما الفرنسيون وعلى رأسهم جان فافييه فيقول:" مجموع الوثائق المسلمة أو المنتجة من طرف شخص طبيعي أو هيئة معينة[11]. وعليه فلا نستطيع كتابة التاريخ بدون الوثائق التي تعتبر مصادرا

ولأجل تدعيم تعريف واضح للأرشيف فقد ساعدتني الزيارة التي قمت بها إلى الأرشيف الفرنسي الوطني باكس أن بروفانس[12]. أو ما يعرف بأرشيف ما وراء البحار. على الوقوف على مختلف التصنيفات المتعلقة بالأرشيف، وبعد عملية البحث والتحري استنتجنا أن الأرشيف على مفهومين:

أرشيف عام يتضمن كل ما جمعته الإدارة الفرنسية من مستعمراتها في إفريقيا وآسيا.

وأرشيف خاص يرتبط بكل دولة على حدا، وبالنسبة للجزائر فلقد كلفت الإدارة الفرنسية سنة *1845* م رئيس الإدارة المركزية بالجزائر بجمع كل الوثائق الموجودة بالمساجد والزوايا.. [13]والأغلب أن تكون عبارة عن مخطوطات ووثائق عثمانية لأن المساجد والزوايا كانت رمزا للمعرفة والعلم.

ويقول فؤاد صوفي مدير الأرشيف بولاية وهران سابقا بأن :

"التنظيم الفعلي وتأسيس الأرشيف بالجزائر كان سنة *1908*، وأن طريقة جمع الوثائق تأتي عبر التقارير الولائية والبلدية وحتى العسكرية، ثم ترتيبها بسلسلة ترتبط بموضوع خاص وتنقسم بدورها إلى سلاسل فرعية. وبذلك امتلكت فرنسا إرثا أرشيفيا كبيرا من الجزائر، حيث تم تحويل الأرشيف مابين 1961-1962 [14]. يعني قبل إمضاء اتفاقية وقف إطلاق النار، وفي عهد ديغول الذي ارتبطت سياسته بالدهاء فقد تمكن من نقل *200* ألف علبة أرشيفية تحوي تاريخ الفترة الاستعمارية مابين *1830/ 1962*، أي ما يقارب *600* طن من الأرشيف معظمه من مدينة الجزائر وقسنطينة، عكس وهران التي لم تتجاوز تحويل 43 طن أي *1600* كيس من الوثائق الأرشيفية[15].

الأرشيف المحلي:

أولا: أرشيف ولاية وهران:

بعد الاطلاع على المادة الأرشيفية بوهران نجده يحتوي على أرصدة ضخمة ومتنوعة، تهتم بدراسة التاريخ الجزائري. من بينها السلاسل الكبرى

التي تحوي ملفات القضايا الاقتصادية الجزائرية، وأيضا السلسلة الصغرى ف(*F*) و(*Série I*) تخص علاقات العمال الجزائريين بالإدارة الفرنسية،. وغيرها. والسلسلة تحمل حرف (*H*) الخاصة بالتموين وهي علب كثيرة غير مرتبة، ولا يسهل على الباحث الوصول بسرعة لما يصبو إليه.

وبالإضافة إلى ذلك النشرات الإحصائية، وتقارير الغرف الاقتصادية مثل الغرفة الزراعية والتجارية، والحرفية، وهي نشرات وحوليات حول الوضع الزراعي والتجاري، وتقارير مركز الاستخبارات (*AP et CP*). والصحافة الفرنسية بمختلف اتجاهاتها. ومهما يكن يظل أرشيف هذا المركز هاماّ بالنسبة للباحثين لوجود مادة خام منه، لم تستخدم ومنعت من الاطلاع، وعن تجربة وجود العديد من العلب التي لم تضبط رموزها، وهي بحاجة إلى من يهتمّ بها وينظمها لأجل البحث العلمي، وتسهلّ وتختصر المسافات على الباحثين الملتجئين إلى فرنسا ، لاستكشاف تاريخنا. والدليل على ذلك وجود نشريات سياسية واقتصادية، كانت تنشر لمدّة *15* يوم، أي نصف شهرية وأخرى شهرية، مثل(*Bulletin Politique ou Social de la bimensuel ou mensuel,BP.*) أيضا محاضر الجلسات البرلمانية والبلدية، التي ضمت تقارير الاجتماعات وغيرها، الجريدة الرسمية الفرنسية أو الجزائرية (*Journal officiel*)، بها كل المراسيم والقوانين الخاصة بالجزائر الصادرة من طرف الحكومة الفرنسية .

ثانيا : أرشيف ما وراء البحار:

ويقع هذا المركز في جنوب فرنسا كما ذكرنا سابقا. وكانت زيارتنا له في سنة 2015، وهو من أهم وأكبر المراكز الأرشيفية العالمية، في مبنى ضخم ومجهز بأهم التجهيزات الأمنية المتقدمة، ينبهر الزائر لأول مرة به، وقد اعتمدت إدارة المبنى تقديم التوجيهات اللازمة في قاعة الاستقبال، ابتداءا من منح الباحث بطاقة الدخول بنسخ صورة حديثة بنفس المكان، وتسمى بطاقة القارئ بحيث يمكن استعمالها في أي وقت لاحق، ثم يتم استقبال الباحث من طرف مرشد قاعة البحث، المختص في نفس مجال البحث، لتزويد الباحثين بأهم الخطوات التي تسرع عملية البحث. كما يلجأ إلى تعريف الباحث بالأرشيف وكيفية التعامل معه. والملاحظ أيضا أن غدارة المبنى خصصت لكل مستعمرة من المستعمرات القديمة لفرنسا عاملا خاصا يدير شؤون الأرشيف الخاص بها.

لقد صُنعت البطاقة المرقمة خصيصا للمساعدة على البحث في المحرك الآلي، وهو جهاز كمبيوتر خصص لهذا الغرض. كما توجد على طاولاته مواقيت طلب العلب الأرشيفية، ويجب على الباحث أن يسهل طلباته على الجهاز، حتى يتسنى للعمال جلبها في الوقت المحدد، بدون إهدار الوقت المضبوط من 8سا ونصف إلى 16سا و45 دقيقة. ولأجل تسهيل العملية يقوم على خدمة المركز فرقتين إحداهما صباحية والثانية مسائية

إن النتيجة التي يتم الوصول إليها لدى كل باحث هو مدى اهتمام الفرنسيين بجمع وترتيب كل الوثائق الأرشيفية منذ 22 /1855/12، ويضاف إلى ذلك مرسوم 1936/07/21 الذي يضع اللوائح التنظيمية للأرشيف القومي

الفرنسي... [16]، وفي هذا الشأن يشير الدكتور عدة بن داهة:" بأنه في سنة 1931 بلغ التوسع الاستعماري ذروته بالاستيلاء على مساحة قدرها 12.335000كم مربع. يقطنها 65.327.000 مليون ن، ولتسيير هذه الإمبراطورية، أنشأت فرنسا إدارة مركزية أسندت شئونها لوزارة البحرية والمستعمرات ووزارة الشؤون الخارجية[17].

من المهم الإشارة أن أندري شانسون(*André Chauson*) المدير العام لأرشيف فرنسا هو من أنشأ المركز باكس ان بروفانس(*Aix En Provence*) الذي تم ترحيله من باريس سنة 1986، ليدشن سنة.1996، ويشمل هذا المركز كمّا هائلا من الأرصدة الأرشيفية المتنوعة من سياسية، عسكرية واقتصادية، خاصّة وعامة.

لقد خصصّت الإدارة الفرنسية للأرشيف الجزائري قسما معنونا ب:*Ministre D'état Chargée des Affaires Algériennes 1873/1964*، وهو مجزأ إلى قسم إداري ، واجتماعي وآخر اقتصادي، كما أن معظم الملفات مرتبة برموز تسمى(*Référence*). فنجد مكتب الشؤون الزراعية أو التجارية *1953/1961*، يحتوي على مواضيع سياسية وزراعية تخصّ الفرنسيين ثم التبادل التجاري، والأسواق والريّ، تسيير الغابات والصيد البحري .

إضافة إلى السلسلة الوزارية ف*81*ف(*F81F*)، التي تشمل مجموعة من التقارير والدراسات للغرف الفلاحية والتجارية، كما نجد رصيد آخر هو

(*5Q*)، بها علب حول اليد العاملة الزراعية الجزائرية، الملكيات المستغلة من طرف الأوربيين، والقوانين الاقتصادية الجزائرية.

تشمل أيضا هذه العلب وثائق حول مشاكل التموين أثناء الحرب العالمية وبعدها. ويوجد رصيد آخر يرمز له ب *1*ن و*1*ن(*N1*) تهتم بالقطاع الوهراني. والسلسلة الصغرى (*M*)أنظر الملحق رقم *01*.يوجد بها ملفات يمكن الاطلاع عليها حسب القانون المنظم للأرشيف بملاحظة (*communicable*). كما نجد السلسلة الصغرى (*qq*) بها إحصائيات حول الزراعة والصناعة أنظر الملحق رقم *02*، ضف إلى ذلك أرشيف الحكومة العامة بالجزائر ، أنظر الملحق رقم *03* يضم سلسلة (*1H*).

والملاحظ في هذه الأرصدة الترتيب الكرونولوجي للأحداث وطبعتها مثل (*Série R .Travaux publics*)، فالأشغال العمومية مثلا مرقمة من *4619* إلى*4647*، ثم سلسلة أخرى خاصة بالاقتصاد والضرائب (*Série Fm,O Economie*) تهتمّ بالسياسة الصناعية الفرنسية في الجزائر مابين 1962/1940.

كل هذه الأرصدة الأرشيفية موجودة بمركز أكس ان بروفانس، ولا يمكن الاستغناء عنها في الدراسات التاريخية والأكاديمية. ومع ذلك لابدّ من إخضاع هذه الوثائق إلى النقد والنظر في وجهة الآخر.

ومهما يكن يبقى هذا المركز من أهم المراكز الأرشيفية في العالم، لأنه يحوي على أرشيف ثلاث قارات ، آسيا ، افريقيا وأوربا. وأيضا ثروة أرشيفية كونتها فرنسا هي من تاريخها الاستعماري لهذه البلدان

الملاحق

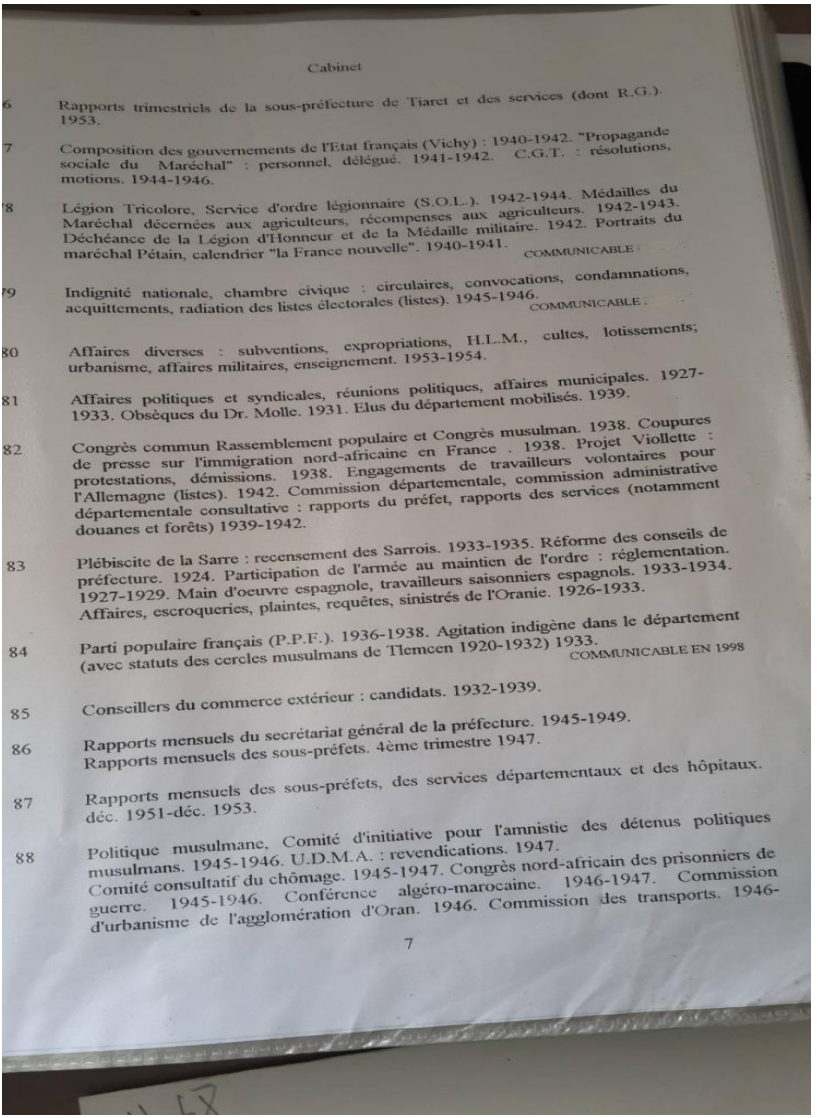

Cabinet

6 Rapports trimestriels de la sous-préfecture de Tiaret et des services (dont R.G.). 1953.

7 Composition des gouvernements de l'Etat français (Vichy) : 1940-1942. "Propagande sociale du Maréchal" : personnel, délégué. 1941-1942. C.G.T. : résolutions, motions. 1944-1946.

8 Légion Tricolore, Service d'ordre légionnaire (S.O.L.). 1942-1944. Médailles du Maréchal décernées aux agriculteurs, récompenses aux agriculteurs. 1942-1943. Déchéance de la Légion d'Honneur et de la Médaille militaire. 1942. Portraits du maréchal Pétain, calendrier "la France nouvelle". 1940-1941.
COMMUNICABLE

79 Indignité nationale, chambre civique : circulaires, convocations, condamnations, acquittements, radiation des listes électorales (listes). 1945-1946.
COMMUNICABLE

80 Affaires diverses : subventions, expropriations, H.L.M., cultes, lotissements; urbanisme, affaires militaires, enseignement. 1953-1954.

81 Affaires politiques et syndicales, réunions politiques, affaires municipales. 1927-1933. Obsèques du Dr. Molle. 1931. Elus du département mobilisés. 1939.

82 Congrès commun Rassemblement populaire et Congrès musulman. 1938. Coupures de presse sur l'immigration nord-africaine en France . 1938. Projet Viollette : protestations, démissions. 1938. Engagements de travailleurs volontaires pour l'Allemagne (listes). 1942. Commission départementale, commission administrative départementale consultative : rapports du préfet, rapports des services (notamment douanes et forêts) 1939-1942.

83 Plébiscite de la Sarre : recensement des Sarrois. 1933-1935. Réforme des conseils de préfecture. 1924. Participation de l'armée au maintien de l'ordre : réglementation. 1927-1929. Main d'oeuvre espagnole, travailleurs saisonniers espagnols. 1933-1934. Affaires, escroqueries, plaintes, requêtes, sinistrés de l'Oranie. 1926-1933.

84 Parti populaire français (P.P.F.). 1936-1938. Agitation indigène dans le département (avec statuts des cercles musulmans de Tlemcen 1920-1932) 1933.
COMMUNICABLE EN 1998

85 Conseillers du commerce extérieur : candidats. 1932-1939.

86 Rapports mensuels du secrétariat général de la préfecture. 1945-1949.
Rapports mensuels des sous-préfets. 4ème trimestre 1947.

87 Rapports mensuels des sous-préfets, des services départementaux et des hôpitaux. déc. 1951-déc. 1953.

88 Politique musulmane. Comité d'initiative pour l'amnistie des détenus politiques musulmans. 1945-1946. U.D.M.A. : revendications. 1947.
Comité consultatif du chômage. 1945-1947. Congrès nord-africain des prisonniers de guerre. 1945-1946. Conférence algéro-marocaine. 1946-1947. Commission d'urbanisme de l'agglomération d'Oran. 1946. Commission des transports. 1946-

7

الملحق رقم 01

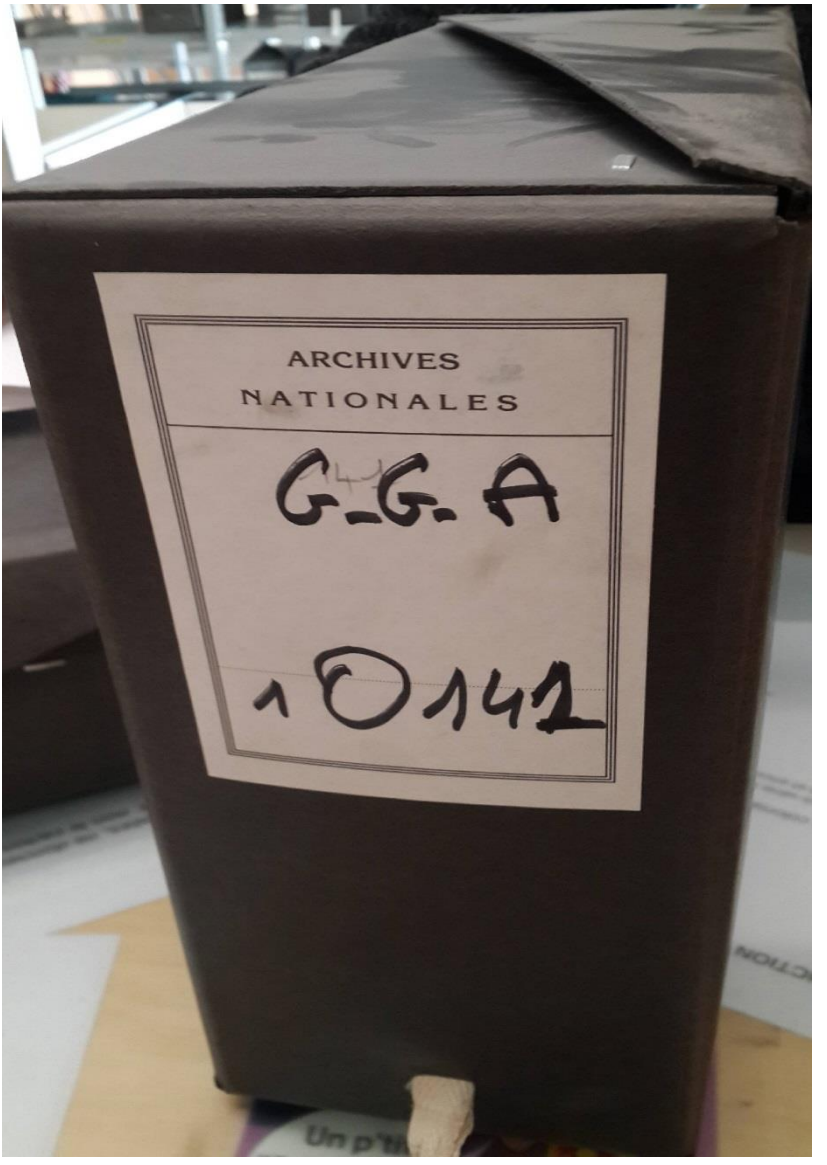

الملحق رقم 02

الهوامش

-أبن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المؤرخ ورائد علم الاجتماع،ولد بتونس عام 732هـ/1332م، صاحب العديد من المؤلفات ، أبرزها كتاب العبر ،أوما يعرف باسم المقدمة، وهو أول كتاب في التاريخ ، وقد أنهى كتابته في قلعة بني سلامة بتيارت. توفي سنة 808هـ/1406م. ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 2003، ص 3.

[2] -خيري عبد العزيز: قضايا التنمية في الوطن العربي في مصر والمغرب العربي، دار الآفاق الجديدة، 1983، ص ص 131-132.

[3] -A.W.O, Annuaire de la viticulture de l'Afrique du Nord.

[4]- بن داهة عدة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض في الجزائر، الجزء الأول، الجزائر، 2008، ص 192-193.

[5] – عبد اللطيف بن اشنهو، تكوّن التخلف في الجزائر، 1962/1830، ترجمة مجموعة من الأساتذة، الجزائر، 1979، ص 125.

[6] -AR ,A.N.O.M , 1H 10.

[7] – ابراهيم مياسي: الاستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الجزائرية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 5، سنة 2002

[8] -www.startimes.com.22/10/016.

[9] -Ibid

[10] -سلوى علي ميلاد: مصطلحات الوثائق والأرشيف، عربي، فرنسي، انجليزي ، راجعه الأستاذ توفيق اسكندر، القاهرة ، 1983، ص 8.

[11] -شعيب الحاج :تسيير أرصدة المصالح الولائية للأرشيف، ولاية تلمسان نموذجا، رسالة ماجستير في علم المكتبات جامعة وهران 2011، ص 34.

[12] -مدينة فرنسية تقع في جنوبها الشرقي، قرب مرسليا، تأسست سنة 122 ق.م، وهي مدينة ثقافية وبها يوجد المركز الوطني لأرشيف ماوراء البحار.